فى يوم ماطر

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

كانت السماء مُطبِقةً على الأرض ، والمطر يسحّ حثيثاً متداركاً يكاد من شدته يفشر القطران ، والماء يسيل على جانبي الطريق ويتدافع ويرتفع له مثلُ الموج ، وكان أمام نافذتى بوابة عريضة وقفت على عتبتها فتاةٌ تتقى المطر فى ظُلَّتها . وكانت ترتدى ثوباً مُشرَّقاً بين الحمرة والبياض كأنما استعارت صبغته المزدوجة من الشمس الغاربة والقمر الطالع . وكانت فيه كأنها مِقطَعٌ أومثال فصل الثوب على قده لعرضه على العيون ، فمحاسنها كلها بارزة ، وخطوط قوامها اللين مرسومة ، وقد اجتمع طرفان منه على سرتها وانعقدا على صفة وردة كبيرة ، وتدلت على مدار خصرها الهضيم ذلاذل تكاد تمس قدميها الدقيقتين ؛ أما صدرها فأطاف به شىء لا أدرى ماصفته كان ثدياها الناهدان يبدوان من تحته كأنهما فى كأسين ، أو كأنهما موجتان متناوحتان حجزتا وحيل بينهما وبين التسرب والانسياب

ولم يكن أفتن من منظرها وهى واقفة ترقب انقطاع المطر ، وكان معى فى البيت صاحب يحمل مظلة جميلة غالية ، لاتفارق يده فى صيف ولاشتاء ، ولا ليل ولا نهار ، فكأنها قطعة منه ، أو امتداد لذراعه ، فغافلته وحملتها ، ومضيت بها الى هذه الفتاة ووضعتها فى يمينها ، وارتددت عنها بلا كلام . فلما أفاقت من دهشتها كنت قد غبت عن عينها

وآن لصاحبي أن يخرج ، فنظر فلم يجد المظلة ، فتلفت هنا وهنا ثم سأل فقلت :

« أترى هذه البوابة ؟ كانت هنا فتاة جميلة تخشى على نفسها وعلى ثيابها من المطر فلم يسعنى إلا أبجدها . . . . »

فسأل : « أعطيتها الـ . . . . .

قلت : « ألم أقل لك إنك ذكى ؟ بل أنت أيضاً ذو مروءة ونجدة وشهامة »

قال : « ولكن مظلتى ؟ كيف أخرج الآن . . . . وفى هذا المطر أيضاً ؟ »

قلت : « إنها بلا شك تشكر لك هذا الصنيع الجميل ، فأنت سعيد بذلك ، فليتنى كنت صاحبها — أعنى المظلة ! »

قال : ولكن ماذا أصنع ؟ كيف أخرج ؟ إن هذا شىء . . »

قلت : « ياصاحبي . إن الأيثار حميد ، والأثرة ذميمة »

فقال : « تعطى مظلتى لفتاة ؟ أما إن هذا لغريب ! »

قلت : « ياصاحبي . لو رأيتها لما قلت « فتاة » بهذه اللهجة التى أنكرها ولا أرضى عنها . إنها فتاة رائعة . وإنى لرجل متزن الأعصاب فى العادة ، ولكنى أرجو أن تثق أنها فتنتنى . وإنى لآسف على حرمانك هذه المظلة الثمينة — أو التى كانت ثمينة منذ أربع سنوات — ولتكن عليك أن تتعزى بأن التى تحملها الآن أجمل فتاة على ظهر هذه الأرض ، وأنك أنت سبب سعادتها فى هذه اللحظة ، وأن اسمك سيخلد فى التاريخ ، وأنى لو كنت شاعراً لقلت أبياتاً أخلد فيها صنيعك الحسن هذا ، وإن أبنائى سيحفون بى كل ليلة ويطلبون أن أقص عليهم كيف فقد صاحبى العظيم مظلته الغالية . . . »

ولم أتم خطبتى لأنه خرج مغضباً ، فأمسكت وحمدت الله !

* * *

وحمل إلىّ البريد رسالة غريبة هذا نصها بعد الديباجة المألوفة :

« إن ما أقرأه لك يحملنى على الثقة بأنك لن تخيب رجائى فيك . فهل لك أن تقابلنى أمام باب « جروبى » الساعة السابعة من مساء اليوم ؟ ولا أجرؤ أن أبدو لك حتى تبدو لى ، فاذا صدق ظنى فيك فلعلك تتفضل بأن تضع فى عروتك زهرة من زهور « الأرواله » البيضاء ، لأعرفك بها ، وزيادة فى الحيطة أرجو أن تقول لى « لا مطر غداً » فأقول لك « لم ولماذا وكيف يكون ذلك » . فلا تنس »

ولم يكن على الرسالة توقيع ، فلم أشك فى أنها فتاة مصرية لم تألف أن تدخل « جروبى » وتجلس فى حديقته ، ولكنها تسمع باسمه فهى تقف عند بابه ، فما يعقل أن يكون كل هذا الحرص والحذر من رجل ، واطمأنت نفسى بعد أن خلصت إلى هذه النتيجة ، وشكرت الحظ الذى أبعد عنى صاحبى قبل أن تردنى

هذه الرسالة ، بدقائق ، ولو أنه كان معي لأطلعته عليها بلا أدنى ريب ، ولكان الحقق أن يسبقني إلى باب « جروبي » فيطردني بوجوده ، عنه

واشتريت الزهرة المطلوبة ، ووضعتها في العروة ، وأخرجت منديلاً وظللت أرفع يدي به وهو منشور إلى أنفي لأحجب هذه الزهرة عن العيون ، فقد كانت كبيرة وأنا أخجل أن أضع على صدري زهراً ولو كان في حجم الحمصة ، ووقفت بباب جروبي أتأمل الداخلين والداخلات ، والخارجين والخارجات ، وأشاور نفسي وأسائلها كيف أقدم على خطاب من لا أعرف ؟

ولم يكن ثم بد من الاقدام ، فما اشتريت الزهرة البيضاء الكبيرة وغرستها فوق حبة قلبي لأعرض نفسي على الأنظار ، فتوكلت على الله ، على أني — كما لا أحتاج أن أقول — أهملت العجائز وتركتهن يرحن ويجئن كما يشأن دون أن أكلف نفسي حتى النظر إليهن ، وأقبلت فتاة رشيقة تتأفت كالترددة فتمنيت أن تكون هي ودنوت منها وقلت :

« معذرة . واغتفري لي تطفلي ، لامطر غداً ! »

فنظرت إلي باسمة وقالت :

« باردون ؟ »

فقلت لنفسي : « ليست بها . وقد غلطت والله يولد ، فاخرج من هذا المأزق بسرعة » فتبالهت وسألتها بغير العربية :

« إنما كنت أسأل هل هذا جروبي ؟ »

فقالت وهي تبتسم : « طبعاً ... الاسم مكتوب ... »

فبلعت ريقي وشكرتها وارتددت عنها

وأقبلت أخرى أعذب منها — بلا شك — وأظرف على التحقيق ، وأولى بأن ترؤف بي إذا غلطت فيها ، وكانت تتأمل إعلانات وصوراً لشركة بواخر هناك ، فدعوت الله أن يجعلها من نصيبي ، وأقبلت عليها أقول بلا تمهيد :

« لا مطر غداً »

فقالت بعربية محطمة ، أستحي أن أثبتها بنصها : « شيء غريب ! متأكد ؟ »

قلت : « ثقي بي . إني نشرة جوية متنقلة ... مرصد إنساني متجول ... »

قالت : « ظاهر .. أشكرك ... »

قلت : « هذا واجبي ... فلا أستحق شكراً »

قالت : « إنك تؤديه بذمة .. لقد رأيتك الآن تخاطب سيدة هناك ... وهذه أخرى آتية ، فاسمح لي ألا أحول بينك وبين عملك »

قلت : « لم يكذب ظني »

قالت : « كيف ؟ »

قلت : « كنت موقناً أنك أظرف من تلك التي هزئت بي وأخجلتني »

فسألتني : « هل أنت على موعد مع مجهولة ؟ »

قلت : « أصبت ... »

قالت : « مسكين ! .. لعلها هذه » وأشارت فالتفت فاذا فتاتي — أعني الفتاة التي تفضلت عليها بمظلة صاحبي ، فقلت :

« اخفيني عنها لحظة حتى تمر ... تظاهري بأنك صديقتي دقيقة واحدة .. أرجو »

فضحكت وقالت : « لماذا تخشاها ؟ هل خنت لها عهداً ؟ لا بأس . تعال »

ووضعت ذراعها في ذراعي وهممنا بأن نسير ، وإذا بفتاتي تصيح ورائي :

« من فضلك ... من فضلك ... ألا تذكرني .. إني مدينة لك بالشكر ، لقد تركتني فجأة كما ظهرت لي فجأة ، فلم أدر أين اختفيت ، فهل تسمح لي باسمك وعنوانك لأعيد اليك المظلة ؟ »

فقلت : « هذا شيء تافه ... لا تفكري فيه »

قالت : « ولكني لا أستطيع أن أبقيها عندي وأحرمك »

قلت : « ثقي أنك لا تحرميني شيئاً فانها ليست لي ، بل لصاحب »

قالت : « ما أرقه ! »

قلت : « إنه على نقيض ذلك . . أبعد ما يكون عن الرقة »

قالت : « هذا أدعى لردها اليه »

قلت : « لقد انتهى الأمر . سرقت مظلته وأعطيتك إياها ، وعرف ما كان ، وغضب وشال نفسه وحطها ، ولم يبق هناك شيء آخر يمكنه أن يصنعه ، فلا تكترثي له ولا تفكري فيه »

قالت بعطف : « مسكين ! »

قلت : « لقد كنتُ أنا المسكين ، وكانت هذه المظلة تفقأ عيني كلما رأيتها ، فالآن أمنت ، وفي وسعي أن ألقاه وأنا مطمئن ، من غير أن يؤذي بصري منظر المظلة »

قالت وهي تضحك : « على كل حال لابد من ردها اليه ولك وله الشكر »

فكتبت لها الاسم والعنوان ، ولم يفتني أن أحذرها من مقابلته ، ولم يبق بعد ذلك ما يقال ، فهممت بتوديعها وإذا برجل هِمٌّ هرم يدنو مني وينظر الى الزهرة التي على صدري ثم يقول وهو يفرك كفيه :

« هل سمعتك تقول لا مطر غداً ! »

فحدقت فيه متردداً ، ثم رفعت يدي الى الزهرة فأخرجتها من العروة ورميتها على الأرض ، فلم ينهزم وقال :

« لم ولماذا وكيف يكون ذلك ؟ »

فكاد عقلي يطير ، فتناولت ذراعيْ الفتاتين وأوليت الرجل ظهري ومضيت بهما عنه ، وهما ذاهلتان تنظران اليّ ولا تفهمان ، غير أن هذا لم يمنع الرجل أن يمشي ورائي وهو يصيح :

« لم ولماذا وكيف يكون ذلك ؟ »

فقلت لفتاتيّ : « لم يبق إلا أن نجري ، فهل تقدران على ذلك ؟ »

وجرينا مسافة ونحن نضحك ، فلما أمنا أن يدركنا وقفنا وقصصت عليهما الخبر ،

فسألتني فتاة المظلة :

« ولكن ماذا يريد منك ؟ »

قلت : « لا أعرف ، ولا أحب أن أعرف . . »

قالت : « ألا يحسن أن تتبين ؟ »

قلت : « أتبين ؟ أليس حسبي ما منيت به من خيبة الأمل . ومع ذلك لقد عوضني الله خيراً . . . هيا بنا لنستريح . . . »

ابراهيم عبد القادر المازني

بين فن التاريخ وفن الحرب

١٠ ـ خالد بن الوليـــد*

في حروب الردة

للفريق طـــه باشا الهاشمي

رئيس أركان الجيش العراقي

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في بدني شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير ! فلا نامت أعين الجبناء »

خالد بن الوليد

خطة خالد

لا شك في أن خالداً كان يقدر حرج الموقف في قتاله أهل اليمامة . وكان يعلم أنه مقدم على أمر يتوقف عليه نجاح الاسلام أو خيبته . فالبلاد وعرة ، والقرى فيها منيعة ، والناس ملتفون حول داعيهم ، معتصمون بحيهم ، وعددهم كثير ، وسلاحهم يضرب به المثل

لذلك لم يقدم على الحركة قبل أن تصله النجدة الموفدة من المدينة . وأراد أن يمهد سبيل الظفر بالتدابير السياسية وذلك :

أولاً — باستمالة التميميين في اليمامة الى جانبه

ثانياً — بتفريق رؤساء سجاح عن مسيلمة

ثالثاً — باستخدام المسلمين من بني حنيفة للمشاغبة على مسيلمة

والأخبار تدل على أنه أرسل الكتب الى التميميين ليتركوا جانب مسيلمة فوفق الى ذلك ، كما أنه ساق قوة خيالة لمقاتلة رؤساء سجاح الثلاثة وهم عقة وهذيل وزياد ، ففرق جالهم واضطرهم الى العودة الى حي بني تغلب في الشمال . وأن المسلمين من بني حنيفة ثاروا على مسيلمة وشاغبوا عليه ، ولعل عكرمة بن أبي جهل أراد أن يستفيد من المشاغبين فقاتل رجال مسيلمة فلم ينتصر ، وكانت الأخبار تأتي خالداً وتنبئه بما في اليمامة

(*) وهو بحث في قيم لا يضطلع بمثله اليوم فيما نعلم غير كاتبه الفاضل « الرسالة »